الفصل الأول

شجرة الزيتون

The olive tree

الموطن والانتشار Origin

تُعرف شجرة الزيتون بقوتها وقدرتها العالية على تحمل الظروف المناخية والبيئية الصعبة والقاسية، مما مكنها من العيش والاستمرار حتى وقتنا الحاضر. لقد عُرفت هذه الشجرة المباركة منذ أقدم العصور، فقد رافقت الإنسان وأطعمته وأنارت كهوفه وبيوته منذ فجر التاريخ، وتقول إحدى الأساطير أن آدم حينما اقتربت وفاته استحضر كلمة الرب الذي كان قد أعطاه زيت الرحمة لخلاصه وخلاص البشرية كلها، وأرسل ولده سبت إلى الجبل، حيث كانت الجنة الأرضية تحت حماية الملاك، ليستجديه، فأعطى الملاك ثلاث بذرات من شجر الخير والشر إلى سبت وأوصاه أن يضعها في فم المتوفى، وبعد دفن آدم في جبل طابور نبتت البذرات الثلاث وأعطت جذوراً وسوقاً وتكونت شجرة الزيتون وشجرة الأرز وشجرة السرو.

من المؤكد أن وجود شجرة الزيتون يعود إلى أكثر من ١٢ ألف سنة، فقد عثر على مستحاثات لأوراق الزيتون في طبقات العصر الجيولوجي الحديث في مونفاوزينو بإيطاليا، ومستحاثات أخرى في طبقات العصر الحجري في مواقع الحلزون بمنطقة دليلاي في إفريقية، وفي العصر البرونزي في إسبانيا.

أما في آسيا فانه من المؤكد أن زراعة الزيتون تعود إلى أكثر من ٦ آلاف سنة حيث عرفتها جميع شعوب تلك المنطقة باستثناء البابليين والآشوريين، ففي موقع ايبلا في شمال الجمهورية العربية السورية وجدت لوحة تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد تشير هذه اللوحة إلى الإنتاج الواسع من الزيتون، كما وجدت سجلات تعود أيضاً إلى الألف الثاني قبل الميلاد تشير إلى زراعة الزيتون في كل من سورية وفلسطين، كما وجدت مثل هذه السجلات في مصر في قبور الفراعنة القدماء تعود إلى عام ١٢٥٣ قبل الميلاد.

وبالرغم من كثرة الآثار والمستحاثات الدالة على وجود الزيتون، إلا أن الكثير منها يرتبط بالثقافة الميسنية في جزيرة كريت التي تعود إلى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد.

openkandil.com

أما في جزيرة كريت فقد وجد العديد من الآثار الدالة على وجود شجرة الزيتون على الجرار العديدة والمتفاوتة في السعة التي تعود إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد، إضافة إلى وجود جرة متعددة الألوان لصيانة الزيوت العطرية، تعود إلى القرن الثامن عشر ووجود كأساً على شكل ثور يحتفظ بالزيت خلال عام ١٥٠٠ قبل الميلاد. مثل هذه الأدلة قد تسمح لبعض العلماء من المؤرخين لاعتبار جزيرة كريت مهداً لزراعة الزيتون في العصرين الحجريين القديم والحديث خلال الفترة الواقعة ما بين ٣٥٠٠ ـ ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد، والتي منها انطلقت إلى مصر وإلى الجزر اليونانية وفلسطين وآسيا الصغرى.

أما في **مصر** ومنذ ستة آلاف سنة نسب المصريون إلى إيزيس زوجة أوزيريس الإله الأكبر في أساطيرهم فضل تعليم زراعة واستعمال الزيتون، وتحم مومياء تعود إلى الأسرة العشرين في الفترة ما بين ١٠٩٠ـ٢٠٠٠ قبل الميلاد تحمل أكاليل على الرأس مصنوعة من أغصان الزيتون.

أما في **اليونان** فإن أثينا آلهة السلام والحكمة التي ولدت كمعجزة من رأس أبيها ثيوس بعد أن التهم ميستيس الحاملة هي أصل الزيتون لدى اليونانيين. وفي أسطورة أخرى ينسب اليونانيون أن غرس الزيتون واستعماله يعود الفضل به إلى اريستيو ابن ابولو والحورية سيرين.

أما **الرومان فيروا**، أن روملو وريمو اللذان انحدرا من الآلهة وأسسا روما وُلدا تحت أغصان الزيتون. ويذخر الأدب اليوناني والأدب الروماني بالإشارات الكثيرة إلى الزيتون ومنتجاته ويتذكر هوميروس اللمعان الناعم للزيت في المصباح.

وفي التوراة ذُكر الزيت ١٤٠ مرة والزيتون حوالي ١٠٠ مرة، وفي سفر التثنية. تُوصف أرض فلسطين بكونها بلاد غنية بالزيت والزيتون. كما يذكر أن الزيتون كان شاهداً استثنائياً في حياة السيد المسيح، حيث صلى وبكى ودفن في أرض الزيتون.

كما يذكر القرآن الكريم أيضاً أن هذه الشجرة نبتت في طور سيناء، وذكرها في العديد من الآيات ففي سورة /النور/ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ {النور: آية ٣٥}.

من ذلك يتبين أن لشجرة الزيتون أهمية اقتصادية ودينية وقيمة رومانسية رمزية تشترك فيها جميع الثقافات والشعوب والأديان، مما يجعلها تستحق الاحترام والاهتمام بخشبها وزيتها.

إن أقدم شجرة زيتون في العالم لا تزال قائمة حتى الآن هي شجرة أرسطو في اليونان عمرها ٤٧٠٠ سنة، وإن أقدم حقل زيتون في العالم هو في القدس يعود إلى زمن المسيح عليه السلام، وأن أول من زرع الزيتون بشكل منظم هم اليونانيون منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد حيث كان يستعمل زيت الزيتون لإشعال المصابيح في القصور، وأن نقوشاً لأوراق الزيتون وجدت على كأس ذهبي يعود إلى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد، كما يذكر التاريخ أن الفائزين بمسابقات الألعاب الأولمبية التي تجري في اليونان منذ عام ٧٧٦ قبل الميلاد يضعون على رؤوسهم تاجاً من أغصان الزيتون إشارة إلى تفوقهم في المباريات واللعاب.

وفي المحصلة لا يعرف بالضبط المهد الأصلي **Origin** لشجرة الزيتون بسبب استمرارية انتشار هذه الشجرة مع استمرار الحضارات المتتالية، إلا أن أغلب الدراسات تشير إلى أن المهد الأصلي لشجرة الزيتون هو منطقة شرقي المتوسط وبشكل خاص سورية وفلسطين وتركيا في حين يؤكد كل من **Pelletier De Condole** أن سورية وتركيا هي الموطن الأصلي لشجرة الزيتون، فإن آراء أخرى تؤكد أن فلسطين هي أرض الزيتون.

ومهما كانت الآراء فإن جميعها تؤكد أن منطقة شرق المتوسط هي موطن شجرة الزيتون ومنها انتشر إلى الأناضول عبر جزيرة قبرص حيث يتوضع فيها أصل الزيتون البري ويكون غابات حقيقية وانتقل إلى اليونان عبر الأناضول كما أشار على ذلك **De Condole** عام ١٨٨٣.

وبدءاً من القرن السادس عشر قبل الميلاد نشر الفينيقيون الزيتون في الجزر اليونانية ثم في شبه جزيرة اليونان خلال الفترة من القرن الرابع للميلاد عندما أصدر صولون مراسيم خاصة عن غرس الزيتون، ومنذ القرن السادس قبل الميلاد انتشرت زراعة أشجار الزيتون، في معظم مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط ووصلت إلى إيطاليا الجنوبية، غير أن **Presta** يعتقد أن شجرة الزيتون في إيطاليا تعود إلى ثلاثة قرون قبل سقوط طروادة (١٢٠٠سنة قبل الميلاد)، وأن **Penestrella** يدافع عن الرأي القائل بأن أولى أشجار الزيتون المستوردة إلى إيطاليا تعود إلى عهد لوسيو تاركينو بريسكو الكبير" ٥٧٨-٦١٦ قبل الميلاد" حيث قدمت من طرابلس أو قابلس في تونس وانتشرت زراعته من الجنوب إلى الشمال.

وقد قام كل من الفينيقيين واليونانيين والرومان بحمل هذه الشجرة المباركة إلى أصقاع كثيرة من العالم. أدخلت شجرة الزيتون إلى إسبانيا خلال سيطرة الفينيقيين البحرية "١٠٥٠ قبل الميلاد" وبعد الحرب القرطاجية الثالثة انتشرت في وادي "بيتيكا" ثم إلى المركز والساحل المتوسطي لشبه جزيرة ايبيريا. كما واصل الرومان نشر زراعة الزيتون في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط كسلاح سلمي في غزواتهم لاستقرار السكان وخاصة في بلدان الغال في سردينيا.

كما انتشرت زراعة الزيتون وازدهرت أيام الدولة العربية، وانتشرت خلال الفتوحات الإسلامية حيث قام العرب بنقل هذه الشجرة إلى كل البلدان التي حكموها ومنذ ذلك الوقت انتشرت واستقرت زراعة الزيتون في إسبانيا حيث تحتل هذه الدولة المركز الأول في زراعة الزيتون مشكلة ما نسبته ٣٧٪ من مساحة الزيتون في العالم تليها إيطاليا ٢١٪ ثم اليونان ١٣٪ ثم البرتغال ٩٪ ومن ثم تونس وسورية ٦٪.

وقد أصبح حوض البحر الأبيض المتوسط مناطق انتشار الزيتون الأساسية، وحيث انطلقت زراعة الزيتون من هذا الحوض إلى أمريكا مع المكتشفين الإسبان عبر أشبيلية والانتيل وابتداءً من عام ١٥٦٠ وجدت مشاتل خاصة لإنتاج غراس الزيتون في كل من المكسيك والبيرو، وانتقل الزيتون منها إلى كاليفورنيا والشيلي والأرجنتين حيث ما تزال إحدى أشجار الزيتون التي نقلت أثناء الاكتشاف قائمة حتى الآن وتعرف باسم زيتونة "اوراكو" القديمة.

أما في الأزمنة الحديثة فقد واصل الزيتون انتشاره في جنوب إفريقيا واستراليا واليابان والصين.

وتزرع هذه الشجرة في مختلف القارات ولكنها لا تنمو بشكل جيد ولا تثمر بغزارة إلاّ في المناطق التي تتوفر فيها شروط البيئة الساحلية وشبه الساحلية المشابهة لبيئة البحر الأبيض المتوسط والمعتبر بمثابة مناطق انتشاره الرئيسة حيث يمكن القول مع **Duhamel** بأن البحر الأبيض المتوسط ينتهي حيث يتراجع الزيتون ثم يضيف قائلاً ينتشر الزيتون هناك حيث تسمح الشمس بغرسه وانتشاره.

(المصدر: المجلس الدولي للزيتون)

جرة رومانية

وعاء روماني

قنديلان رومانيان

جرة فخارية تعود إلى عهد رمسيس الثالث قبل الميلاد، عثر عليها في وادي الملوك في الأقصر في مصر

شجرة زيتون معمرة في صافيتا (طرطوس، سورية)

مصباح زيت روماني